

تفسير البحر المحيط

@ 282 مثل ذلك الاجتباء ، وهو ما أراه من تلك الرؤيا التي دلت على جليل قدره ،
وشريف منصبه ، ومآله إلى النبوة والرسالة والملك . ويجتبيك : يختارك ربك للنبوة والملك .
قال الحسن : للنبوة ، وقال مقاتل : للسجود لك ، وقال الزمخشري : لأمر عظام . ويعلمك
من تأويل الأحاديث كلام مستأنف ليس داخلاً في التشبيه ، كأنه قال : وهو يعلمك . قال مجاهد
والسدي : تأويل الأحاديث عبارة الرؤيا . وقال الحسن : عواقب الأمور ، وقيل : عامة لذلك
ولغيره من المغيبات ، وقال مقاتل : غرائب الرؤيا ، وقال ابن زيد : العلم والحكمة . .
وقال الزمخشري : الأحاديث الرؤى ، لأن الرؤى إما حديث نفس أو ملك أو شيطان ، وتأويلها
عبارتها وتفسيرها ، فكان يوسف عليه السلام أعبر الناس للرؤيا وأصحهم عبارة . ويجوز أن
يراد بتأويل الأحاديث معاني كتب القرآن وسير الأنبياء ، وما غمض واشتبه على الناس في أغراضها
ومقاصدها ، يفسرها لهم ويشرحها ، ويدلهم على مودعات حكمها . وسميت أحاديث لأنها تحدث
بها عن القرآن ورسله فيقال : قال القرآن : وقال الرسول : كذا وكذا . ألا ترى إلى قوله : {
فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ } { اللَّهُ نَزَّلَ الْحَقَّ سَنَ الْحَدِيثِ }
كتاباً وهي اسم جمع للحديث ، وليس بجمع أحداثته انتهى . وليس باسم جمع كما ذكر ، بل هو
جمع تكسير لحديث على غير قياس ، كما قالوا : أباطل وأباطيل ، ولم يأت اسم جمع على هذا
الوزن . وإذا كانوا يقولون في عباديد ويناذير أنهما جمعا تكسير ولم يلفظ لهما بمفرد ،
فكيف لا يكون أحاديث وأباطيل جمعي تكسير ؟ . .
ويتم نعمته عليك ، وإتمامها بأنه تعالى وصل لهم نعمة الدنيا بأن جعلهم أنبياء وملوكاً
، بنعمة الآخرة بأن نقلهم إلى أعلى الدرجات في الجنة . وقال مقاتل : بإعلاء كلمتك وتحقيق
رؤياك ، وقال الحسن : هذا شيء أعلمه القرآن يعقوب من أنه سيعطي يوسف النبوة . وقيل : بأن
يحوج إخوتك إليك ، فتقابل الذنب بالغفران ، والإساءة بالإحسان . وقيل : بإنجائك من كل
مكروه . . وآل يعقوب الطاهر أنه أولاده ونسلهم أي : نجعل النبوة فيهم . وقال الزمخشري :
هن نسلهم وغيرهم . وقيل أهل دينه وأتباعهم ، كما جاء في الحديث : من آلك ؟ فقال : {
كُلُّ } وقيل : امرأته وأولاده الأحد عشر . وقيل : المراد يعقوب نفسه خاصة . وإتمام
النعمة على إبراهيم بالخلة ، والإنجاء من النار ، وإهلاك عدوه نمروذ . وعلى إسحاق بإخراج
يعقوب والأسباط من صلبه . وسمي الجدو أبا الجد أبوين ، لأنهما في عمود النسب كما قال : {
إِلَـهَـكَّ وَإِلَـهَـآبَـائِكَ } ولهذا يقولون : ابن فلان ، وإن كان بينهما عدة في عمود
النسب . إن ربك عليم بمن يستحق الاجتباء ، حكيم يضع الأشياء مواضعها . وهذان الوصفان

مناسبان لهذا الوعد الذي وعده يعقوب ويوسف عليهما الصلاة والسلام في قوله : وكذلك يجتبيك ربك قيل : وعلم يعقوب عليه السلام ذلك من دعوة إسحاق عليه السلام حين تشبه له يعيصو . . { لَّسَّ قَدَّ كَانَ فِى يُوْسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتُ لِّلْمُسْتَائِلِينَ * إِذْ قَالَُوا لِّيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا وَإِخْوَتُنَا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَوَّلَ بَنَاتِنَا لَفِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ * اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَوْ رَمُّوا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُهُ أَبْيَضٌ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ } : آيات أي : علامات ودلائل على قدرة الله تعالى وحكمته في كل شيء للسائلين من سأل عنهم وعرف قصتهم . وقيل : آيات على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم) للذين سألوه من اليهود عنها ، فأخبرهم بالصحة من غير سماع من أحد ، ولا قراءة كتاب . والذي يظهر أن الآيات الدلالات على صدق الرسول وعلى ما أظهر الله في قصة يوسف من عواقب البغي عليه ، وصدق رؤياه ، وصحة تأويله ، وضبط نفسه وقهرها حتى قام بحق الأمانة ، وحدث السرور بعد اليأس . وقيل : المعنى لمن سأل ولمن لم يسأل لقوله : { سَوَاءٌ لِّلْمُسْتَائِلِينَ } أي سواء لمن سأل ولمن لم يسأل . وحسن الحذف لدلالة قوة الكلام عليه لقوله : { سَرَّابِيلَ تَقَيِّكُمُ الْحَرَّ } أي والبرد . وقال ابن عطية : وقوله للسائلين ، يقتضي تحضيضاً للناس على تعلم هذه الأنباء لأنه إنما المراد آيات للناس ، فوصفهم بالسؤال ، إذ كل أحد ينبغي أن يسأل عن مثل هذه القصص ، إذ هي مقر العبر والاتعاظ . وتقدم لنا ذكر أسماء أخوة يوسف منقولة من خط الحسين بن أحمد بن القاضي الفاضل عبد الرحيم البياسني ، ونقلها من خط الشريف النقيب النسابة أبى البركات محمد بن أسعد الحسيني الجواني محررة